

## سياسة الإمام علي "ع" واستشراف المستقبل - نظرة في فكره القيادي

أ.د. رحيم خريبط الساعدي

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

### المقدمة:

إنَّ استشراف الامام علي للمستقبل ونظراته الثاقبة لما سيحدث للأُمَّة ، وما يحيق بها ، نابعٌ من إسلامه المبكر وتنشئته مع رسول الله (ص) ، إذ كان من عائلته ويرافقه دوماً ؛ ممَّا أكسبه معرفة دقيقة بفكر الرسول الكريم ، وألهمه تلك الأفكار المتقدّمة في حينها إذ تعدّ أفكار الامام علي (ع) سابقة لعصرها .فهو قد رافق النبي (ص) من أيّام دعوته السريّة. وبعد نزول الوحي بالآية الكريمة : ((وأُنذر عشيرتك (الأقربين)) الشعراء / ٢١٤ . كان عليّ (ع) يقول: أنا وأليك في الدنيا والآخرة. وكان الامام علي يهدف الى بناء شخصية الانسان ووضعه على الطريق الصحيح لينال السعادة في الدنيا والآخرة . يتضح ذلك من خلال المباشرة في توجيهه أو من خلال إيصال الولاة والعمال بحكم ارتباطهم بالإمام من الناحية السياسية . والمتتبع لأقواله يجده قد أولى المستقبل الذي ينتظر الاجيال عناية خاصة .

وكان (ع) يحثّ الآباء على إيلاء الاولاد أهمية كبرى في التنشئة ويقول علموهم بحسب جيلهم لا جيلكم ، فإنهم وُلدوا لجيل غير جيلكم. وقد فرغ الامام علي الى النظرة السامية للإنسان وانصرف - تماماً - عن أن الخلافة منصب تشريف، بل كان - من خلال سيرته - ينظر إليها على أنها تكليف للنهوض بواقع أمة رسول الله والسير فيها بصلاح ، والمساواة بين الناس على أساس الحقوق والواجبات . والحضّ على القيم الانسانية والاخلاقية التي كان النبي (ص) قد دعا إليها وطبّقها في المسلمين .

وسلّط البحث الضوء على أنّ الامام علي (ع) كان يأمر عمّاله بالمساواة بين الناس، والنظر إلى المحسن نظرة مختلفة عن المسيء، فكلّ معاملته الخاصة التي تتلاءم مع ما يقوم به من عمل. حتى لا يتمادى المسيء ولا ييأس المحسن من عدل الوالي. وهذه نظرة استشرافية لطريقة سياسة الملك ولكي يبقى الاصلاح والاخلاص في العمل ديدن الامة وشغلها الشاغل، فلا تكون الموالاتة إلا بإحساس الرعية بالعدل

والانصاف . وهذا أمر إلهي ليس من منة أحد وتفضله على الناس وتجسيدها لقوله تعالى: ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)) النحل / ٩٠ . وكان يقرن ذلك بالتدبير بأن يدعو المسلمين ويأمر الولاة بالتفكير الدائم في شؤون المسلمين . وكان فوق هذا وذلك يطالب بحسن السيرة والالتزام بالخلق العظيم الذي أمر الاسلام به ؛ حفظاً على نسيج المجتمع ولحمته المتماسكة . وقد أخذ الامام علي بسيرة المصطفى الكريم في الابقاء على مكارم الاخلاق إذ نصت الامثال العربية على أن السيد لا يصلح للسيادة إلا أن يكون سخيّاً . فكان يقول : لا سيادة لمن لاسخاء له . وتطرّق البحث إلى أنّ مفهوم السيادة لدى الامام علي : الإدارة ، بمعنى إدارة الناس ، إذ كان " ع " يدعو إلى استعمال الرفق مع الرعية والعدالة بين الناس وتحمل الرعية . وألاً يحتجب الوالي عن الناس . أرجو أن أكون قد وقّفت في هذا البحث ، وأدعو الله سبحانه التوفيق والسداد للمسلمين جميعاً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سياسة الامام عليّ

السياسة في اللغة : مصدر ساس يسوس سياسة . فيقال : ساس الدابة أو الفرس : إذا قام على أمرها من العلف والسقي ، والترويض والتنظيف وغير ذلك . وقال شارح القاموس : ومن المجاز : سست الرعية سياسة : أمرتهم ونهيتهم . وساس الامر سياسة : قام به . والسياسة : القيام على الشيء بما يصلحه . ويقول ابن الطقطقي في معنى السياسة : ((هي رأس مال الملك ، وعليها التعويل في حقن الدماء وحفظ الأموال ، ومنع الشرور ، وقمع الدعّار والمفسدين والمنع من التظالم المؤدي إلى الفتنة والاضطراب))<sup>(١)</sup> وتعرفها موسوعة العلوم السياسية الصادرة عن جامعة الكويت - نقلاً عن معجم "روبير" - بأنها : فن إدارة المجتمعات الانسانية . وورد في معجم "كامل" : تتعلق السياسة بالحكم والادارة في المجتمع المدني . وتبعاً لمعجم العلوم الاجتماعية تشير السياسة إلى : أفعال البشر التي تتصل بنشوب الصراع أو حسمه حول الصالح العام ، والذي يتضمن دائماً : استخدام القوة ، أو النضال في سبيلها . ويذهب المعجم القانوني إلى أنها : أصول أو فن إدارة الشؤون العامة<sup>(٢)</sup> .

وهذه المفاهيم لا تبعد كثيرا عن المفهوم الشائع المتداول حالياً بأنها تعني : فنّ الممكن ، إذا ما تعلق الأمر بسياسة البلد ، فـ "السياسي" الناجح بالمفهوم الحديث هو الذي يحصل لشعبه على مكاسب اقتصادية واجتماعية وغيرها عن طريق علاقاته ومحاوراته وسفاراته ويستطيع أن يجمع علاقات ايجابية من أجل اسعاد شعبه وجلب السعادة لهم .وفي كل هذا لا ينظر إلى كلمة " حقّ أو باطل " إنّما يُشرّع ذلك له ويُقبل منه . ولم ترد لفظة " سياسة " صريحة في القرآن الكريم ، إنّما وردت ألفظ مقارنة أو مشابهة لها ، كلفظة " الملك " فقد وردت على أنها ملكا محمودا يرضي الله تعالى ، بل هو الذي وهبه وأعطاه . قال تعالى : (( فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكاً عظيماً )) (٣)

وقد وردت في مثل هذا الاستعمال عدة مرات في القرآن الكريم<sup>(٤)</sup> وقد وردت بمعنى الملك المذموم ، وأخذ فرعون المثال للطغيان والجبروت وصوّره القرآن الكريم على النحو الآتي : ((إنّ فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنّهم إنّهم من المفسدين))<sup>(٥)</sup> ويشبهه عمل فرعون طغاة آخرون فهو من "المفسدين" ولفظة "التمكين" ولفظة "الاستخلاف" ولفظة "الحكم"<sup>(٦)</sup>

ومما ورد عن رسول الله (ص) أنّه قال : ((كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء))<sup>(٧)</sup> وجاء في الموسوعة الكويتية في مادة " سياسة " : لعل أقدم نصّ وردت فيه كلمة " سياسة " بالمعنى المتعلق بالحكم هو قول عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري في وصف معاوية : إني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم ، والطالب بدمه ، الحسن السياسة ، الحسن التدبير<sup>(٨)</sup> .

ووردت بوصفها فعلا مضارعا منذ عهد عمر بن الخطاب ، إذ روى ابن أبي شيبه في مصنفه ، والحاكم في مستدركه عن المستظل بن حصين ، قال : خطبنا عمر بن الخطاب فقال : قد علمت - ورب الكعبة - متى تهلك العرب ! فقام إليه رجل من المسلمين ، فقال : متى يهلكون يا أمير المؤمنين ؟ فقال : حين يسوس أمرهم من لم يعالج أمر الجاهلية ، ولم يصحب الرسول . وكذلك رويت عن سيدنا علي رضي الله عنه : روى ابن أبي شيبه في مصنفه وابن الجعد في مسنده ، قال علي : يا أهل الكوفة ! والله لتجدنّ في

أمر الله ، ولتقاتلنَّ على طاعة الله ، أو ليسوسنكم أقوام أنتم أقرب إلى الحق منهم ، فليعذبنكم ثم ليعذبنهم<sup>(٩)</sup>

وهذا الذي ورد - وإن بدا - أنه يعطي معنى التعريف الاصطلاحي والتوجيه بأن القائم على السياسة يضع أمام عينه القيادة بشكلها العام الذي ينسجم ومبادئ الحق والعدالة وأنه يقوم بسياسة الامر بين المسلمين على وفق ما جاء في القرآن الكريم وسيرة الرسول الكريم (ص). فإن فيه توجيهاً آخر يتمثل في أمر القائم بالسياسة بأن يكون من المسلمين وأن يكونوا هم يقومون في طاعة الله ، فالرعيّة ينبغي أن تساعد نفسها بالورع والتقوى والهدى بالقرآن وبالرسول المصطفى " ص " لا أن تسير بسيرة أخرى يلجأ الحاكم لمقاتلتهم على طاعة الله - مثلما عبّر الامام علي - أو يأتي أقوام أبعد من المسلمين على طاعة الله وهديه ، وعندها يقع المحذور ويحلّ العذاب . وذهب باحث إلى أن قيادة الأمة - بعد رسول الله " ص " - بها حاجة إلى إيصال منه " ص " ؛ (( لأن القيادة ضرورة اجتماعية ، والخلافة ضرورة حيوية ، فيها يتحقق الاستقرار والاطمئنان في المجتمع ، وبدونها يعمّ الفوضى والاضطراب . وأهمية القيادة وعظمتها تكمن في رجل القيادة وهو الخليفة))<sup>(١٠)</sup> وكان الباحث يردّ على سؤال سأله هو : هل أنّ النبي "ص" فارق الحياة ولم يعين خليفة لنفسه ؟ وحقيقة الأمر أنّ هذا السؤال وجوابه يندرج في الأمور الحجاجية والمنطقية بعد الرسول الكريم "ص" ولا يندرج حول الامور التوقيفية وما يتعلّق بأمر الرسالة الخالدة ؛ إذ لو صحّ المنطق هنا ، كيف يكون الأمر مع الخليفة الذي يلي الخليفة الأول الذي عينه رسول الله "ص"؟ هل يعينه الخليفة الأول أم يترك الأمر للمسلمين ؟ وما بال المسلمين اليوم من دون تعيين ولا خليفة أصلاً؟! ولكنّ مناقشتنا أو اعتراضنا يزولان إذا علمنا أنّ المؤلّف لجأ إلى هذا التوجيه حين ناقش الآية الخاصة بالشورى في قوله تعالى : ((وشاورهم في الأمر))<sup>(١١)</sup>

وذهب مع الفخر الرازي إلى أنّ الآية الكريمة لا ترتبط بالخلافة ، بل ترتبط بالأمور التي لم يرد فيها نصّ من الله تعالى فهي عامّة للأمور والقضايا الحيوية ، فضلاً عن أنّ الفخر الرازي ذكر أنّ هذه الآية خاصّة

بالحرب فقط . أي أنّ الله تعالى أمر نبيّه الكريم بمشورة أصحابه في قضايا الحرب . واستدلّ الرازي بأنّ الالف واللام في " الأمر " للعهد والمعهود في هذه الآية هي الحرب ولقاء العدو<sup>(١٢)</sup> فالنتيجة : إنّ هذه الآية أيضاً لا ترتبط بالخلافة . ومع صرف النظر عن تفسير هاتين الآيتين فإنّ من المستحيل أن يأمر الله بالمشاورة في مسألة الخلافة ، لما ذكرنا من الآيات التي تؤكد على أنّ تعيين الخليفة خاص بالله وحده ، ولما سبق من أنّ الانسان لا يصلح لذلك ؛ لأنّ المسألة فوق مستواه<sup>(١٣)</sup> والمدقق في كلام الإمام علي "ع" السابق في شأن السياسة يجده قد نظر الى المستقبل نظرة فاحصة ، فلا ينتظر المسلمون من يوئى عليهم إلى أجل غير مسمى ، وبعد أن يطلع عليهم بما لا يحبّون أو يقوم بتغيير الأمور ويضيع الحقوق وبعد ذلك يفكّرون في كيفية التخلّص منه ومن جوره ؛ لذا قال باحث في شأن الامام علي : ((وهبّ يعمل بكل ما يملك ، هبّ يعمل بقلبه ، بيده ، بالسليقة المستنيرة الملهمة ، الرأي المقنع الفصل ، والسلاح القاطع الساحق ..يدعو ليهدي ويعلم ، يقسو ليردع ويقوم ...عالم من الجهاد مترامي الحدود والابعاد هو فيه الرقيق الحميم ، والاب الراعي ، والمعلم المرشد ، والحاكم المنصف والقوة الطيبة الحسنة ، التي تحتذى دائماً ، يؤتسى بسيرها وسيرتها))<sup>(١٤)</sup> فضلاً عن البيعة إذ لا يصحّ قيام الخليفة بالأمر إلا بعد حصول البيعة ، وشدّد عليها الإمام بقوله : ((لأنّها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن ، والمرؤي فيها مدهن))<sup>(١٥)</sup> قال هذا في كتاب له لمعاوية بن أبي سفيان .

المعارضة السياسية:

لا أعالي إذا قلت إنّ الحاكم بأشكاله المختلفة سواء أكان حاكماً متسلّطاً أم " ديمقراطياً " وسواء أكان ملكاً أم رئيساً أو غير ذلك من أنواع الحكم ، لا يقبل المعارضة لحكمه ، بل هو " يتصور " أنّه على حقّ ومن يناوئه على باطل . وهذا الأمر لا ينطبق على زمن دون زمن أو دولة دون أخرى ، بل هو اتجاه يسري دائماً ؛ لذلك وردت هذه الحقيقة في القرآن الكريم الذي عبّر عنه بتعبير غاية في الدقة والموضوعية بعد

أَنْ وَجَّهَ الْإِنظَارَ إِلَى أَنَّ الْمُلْكَ يُؤْتَى مِنَ اللَّهِ إِذْ قَالَ تَعَالَى : ((قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءَ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءَ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))<sup>(١٦)</sup>

ومع هذا فقد وجد في البشرية القليل من الناس الذين زهدوا في الملك أو تنازلوا عنه ، ومن هؤلاء القلائل الامام علي بن أبي طالب ، فالثابت أنه لم يطلب الخلافة نفسه ، بل جاءه المسلمون إلى بيته وطلبوا منه أن يكون خليفة على المسلمين ورفض وبعد أن ألحوا عليه في الطلب اشترط شروطا لهذا الأمر . وحين رأى معارضين لحكمه حاورهم وسمع منه وأبى أن يعاقبهم ، وتجلّى هذا بوضوح مع الخوارج وقال فيهم قولته المشهورة : ((لا تقتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحق فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأدركه))<sup>(١٧)</sup>

وهذه كلمة غاية في إصابة الحقيقة ، فههدف الخوارج إحقاق الحق لكنهم لم يكونوا على صواب في تصوّره وفي اجتهادهم . وكان "ع" يردّد في أنّ الخوارج " طلبوا حقّ ضلّوا " . وموقف الامام علي هنا ينطلق من أنه ينظر إلى الخوارج على أنهم من الرعيّة . وموقف الامام علي منهم لا يختلف عن موقف من المسلمين الباقين ، ولهذا تراه في ردّه عليهم لم يتهمهم بالكفر - مع أنهم اتهموه بالكفر ! - بل قال أنهم طلبوا الحقّ . بل وصل الامر به " ع " أنه أجاب من سأله : ((ما يكون أمر الذين يقتلون في صفوف أعدائهم منهم - إن كانت حرب - ؟)) بقوله : ((من قاتل وهو صادق النية في نصر الحق مبتغيا وجه الله ورضاه فمصيره مصير الشهداء)) وهذا الموقف والسلوك الدائم لا يُستغرب من رجل كان فدائيا للإسلام وقد نذر نفسه في سبيل الله ورسوله الامين ، فهو لا يبتغي غير هذا ولا يريد سواه ولا أقول ذلك - منفعا - إنما هي الموضوعية وقول الحقّ . وأتبع هذا النهج بنهج لا يقل عنه أهمية ، وهو " الامن الفكري " ويتمثّل في أنّ الامام مان يدعو إلى القراءة من أيّ مصدر أتت إذّ ((لا يمكن تحقيق الامن الفكري بدون القراءة للآخر ومعرفة ما خفي على الانسان من علوم فبالعلم تبنى النفوس والامم وتنشأ الحضارات))<sup>(١٨)</sup>

ويمكن أن يكون هذا السلوك بمثابة ورقة عمل تُنتهج من أية حكومة تريد ابتغاء مرضاة الله والسير على الطريق القويم . ولا يعدّ موقف الامام من معارضيه بهذا الشكل فقط إنّما منحهم حقوقا كحقوق المسلمين الاخرين غير المعارضين لحكمه . فقد قال في حقّ الخوارج : ((لهم علينا ثلاث : أن لا نمنعهم المساجد أن يذكروا الله فيها ، وأن لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا ، وأن لا نقاتلهم حتى يقاتلونا))<sup>(١٩)</sup> وهذه الحقوق الثلاثة كاملة غير منقوصة وليس فيها ما يضيّق عليهم ، بل هي مدعاة لهؤلاء ولغيرهم أن يدخلوا في صفّ المعارضة ، فلم يبق شيء يحرّمون منه ! وقال باحث في توجيه صنيع الامام علي هذا : ((لقد استنفد مع جميع أخصامه جميع طرق الحوار المتكافئ ؛ لأنّه اعترف لهم بجميع حقوقهم خلاله فلم يعتد على أيّ منها))<sup>(٢٠)</sup>

وإتي إذ ذكرت أشدّ المناوئين له ممّن حملوا السيف ضده ؛ لأدلل على أنّه من باب أولى أن يمنح حقوق المعارضين له ممّن لم يحمل السيف ضده . وإذا كان موقفه من الخوارج بأنّهم كانوا أوّل الامر معه ثم انفصلوا عنه وعن معاوية ، فإنّه وقف الموقف نفسه من معاوية وجيشه ، فهؤلاء قد منعوا المسلمين من شرب الماء حين كانت السيطرة لهم على الماء لم يمنعه من الماء حين آلت السيطرة له على الماء ، وفعل الامر نفسه مع أصحاب الجمل إذ كان قادته يحظون بالمعالجة من الجروح . وكان هذا الصنيع يرافقه في كل مواقفه ، فهو قد نهى عن " بيع المضطرين " من المعارضين له تقديدا بسنة المصطفى الكريم . وكانت أموال معارضيه تتمتع بحماية السلطة مثل أموال من يوالونه تماما ((هذا ما حصل في موقعة الجمل وصفين وفي النهروان فكان المنتصرون من أصحابه يمرون على الذهب والفضة دون أن يكون لهم سبيل للحصول على شيء منه . وقد كان يساوي بين الذمي والمسلم في حرمة الدم ويقول : (( دم المسلم كدم الذمي حرام)) وكان يقول لأحد ولاته : ((ولا تمسّ مال أحد من الناس مصلّ أو معاهد))<sup>(٢١)</sup> إلى ما هنالك<sup>(٢٢)</sup>

وكان يقوم بكل ذلك تأسيّاً واقتداءً بسنة الرسول الكريم (ص) . من دون أن يتبع ذلك بأذى أو منّة . بل هو منهج حياة وطريق عمل مستشرفاً في ذلك القابل من الايام وكأنّه ينظر إلينا وإلى غيرنا بلحظ الغيب

وينظر إلى الاجيال القادمة بعين المستقبل ؛ لأنه تنظر بإكبار إلى هذه الشخصية الفذة التي ما انفكت تحارب الظلم والمال الحرام . وإذا ما وجد غلظة من أحد معارضيه أو تمرّدا على سلطته لا يقابل ذلك بعنف ولا يتخذ إجراء رادعاً في حقه ، بل يربط ذلك بانتهاك حقوق المسلمين الآخرين عنها سيطبق عليه حدّ الشريعة . وحصل مثل هذا مع ابن الكوّاء . ولا يقف الامر عند عدم الاعتداء على حقوق المناوئين ، بل يتعداه إلى إعطاء أتباع الاديان الاخرى من غير المسلمين إذا اعتراهم العجز أو دبّت فيهم الشيخوخة فلم يستطيعوا الكدّ والعمل لتوفير لقمة العيش . ولم يكن هذا الامر غريباً على رسول الله أو الشريعة الغراء ، فقد قال الله تعالى : (( وإنّ أحد من المشركين أستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثمّ أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ))<sup>(٢٣)</sup>

وهذه الآية دقيقة للغاية في مقاصدها وفي أهدافها بأنّ المشركين لا يعلمون وإذا ما سمعوا كلام الله قد يغيّروا ما كانوا عليه من عقيدة غير صحيحة ، وطلب من النبي أن يأمنه مأمنه وهذه قمة الانسانية والمحافظة على كرامة الانسان . فضلا عن أنّ القرآن يعرض العلم ولا يخاف من الاخر ، بل يلقي بدلوه في خضم الافكار لقناعته بأنه الافضل وإذا ما سمعه الاخر سوف ينجرف إليه إذ يتماشي مع الفطرة السليمة مع الدعوة الدائمة لنشر الحكمة والموعظة الحسنة ؛ لذلك كان المصطفى الكريم يردّد الدعاء : (( ربي اغفر لقومي إنهم لا يعلمون )) . وقد وردت لفظة السياسة عند الامام علي على النحو الآتي :

رأس السياسة استعمال الرفق<sup>(٢٤)</sup>

فضيلة الرياسة حسن السياسة<sup>(٢٥)</sup>

ملاك السياسة العدل<sup>(٢٦)</sup>

من حسنت سياسته دامت رئاسته<sup>(٢٧)</sup>

الاحتمال زين السياسة<sup>(٢٨)</sup>

من ساس نفسه أدرك السياسة<sup>(٢٩)</sup>

والمدقق في كلمات الامام يجدها تصبّ في صالح الرعية ، ولم يكن في خله " ع " أن يؤسس إلى حكم أو بسط سلطان وإنما كان معنياً بهموم الناس وما يكابدونه من مشقة وعنت في سبيل كسب قوتهم أو في جهادهم ضدّ المنافقين والكفار . ولم يشدّد على الناس بضرائب أو جبايات أو ما يرهقهم بأعباء لا يقدرّون على تحملها ، بل كان رؤوفا برعيته ليتنا معهم ، ولطالما كان يرفق بهم ويعنى بحاجاتهم وهو الذي يدافع عنهم ويوزّع عليهم المؤونة ولاسيما الفقراء والمحتاجين منهم . والملاحظ على النقاط التي ذكرها الامام أنّها : فضائل نفسية وقيم خلقية توجدّها التربية الصالحة ، والرعاية الروحية ، فأرس السياسة هو استعمال الرفق وليس استعمال القوة . وعندما تندمج السياسة بالفضائل تكون حصيلتها حسن السياسة . وملاك السياسة وأصلها وجذرها هو العدل . فبدون العدل تفقد السياسة معناها فتتحول من فن لادارة الناس إلى فن لتثريدهم وإبعادهم عن ممارس السياسة . وكان لابد للسياسي من أن يتحمل أعباء عمله وأن يكون بمستوى المسؤولية في المشاق والصعاب ، وحتى تحمل الاذى والكلمات النابية ورشقات الشتائم والتهم ، وهذه طبيعة العمل في هذا المضمار . ومثل هذه السياسة لا تحصل إلا عندما تكون نابعة من الأعماق الخيرة ، من مواطن الخير في الانسان من صفاته الحسنة وفضائله ومكرماته . أي بعد أن يمضي وقتا طويلا في إعداد نفسه وتدريبها على الاخلاق والفضائل وتهيئتها للقيام بدور كبير في الحياة العملية . فبالرفق والعفو تكون القدرة الحقيقية وبها سيسود على الآخرين وستكون له الشهرة بين الناس (٣٠)

والناظر جيدا لهذه الخصال التي حددها الامام علي " ع " يجدها مطابقة لما يريده الناس من السياسي اليوم ، وهي تعطي مثلا واضحا في مقدرة هذا الرجل الحصيف على استشراف المستقبل والنظر إليه بعين فاحصة . فضلا عن صلاحه لعصره ، وإذا أعطينا لأنفسنا الخيال نقول : إنّ هذا الرجل قد سبق عصره وكأنّه ادّخر لعصره وللعصور التالية . ولا يحق لنا أن نقول أنّه وُجد لعصر غير عصره ، فعصره هو عصر الرسول الكريم وحاشا لله أن يضع الاشياء بغير نصابها الذي تستحقّه . فكثير من الامور المتعلقة باليتامى وما تقوم به الجمعيات الخيرية ودور الرعاية الاجتماعية في العالم ، كان الامام علي قد

منحها عناية بارزة وأهمية بالغة ، وكان ينظر بعين الواقع والمستقبل إلى كبار السن ويأمر بتعهدهم بالرعاية .

وكان يوصي الولاة بتخصيص الوقت له وبإعطاء المال لهم من بيت المال يقول : ((ثمَّ اللهُ اللهُ في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى " ذوي الاحتياجات الخاصة " فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ اللهُ ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام " الارض التي لم تؤخذ بحرب " في كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكلّ قد استرعت حقه ، ولا يشغلنك عنهم بَطْر ، فإنك لا تعذر بتضييع التافه لإحكام الكثير المهم . فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصعّر خدك لهم ، وتقعد أمور من يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ، وفرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله تعالى يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الانصاف من غيرهم ، وكلّ فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه))<sup>(٣١)</sup>

وهو في هذا الكتاب وغيره من الكتب التي بعث بها لولاته في مختلف الامصار الاسلامية يستقي مادته اللغوية من القرآن الكريم ، ففي هذا الكتاب أفاد من وصية لقمان الحكيم - وهو يعظ ابنه - فالموضوع واحد والطريقة مختلفة ، لقمان الحكيم يوصي ابنه وصية اجتماعية والامام علي يوصي الوالي وصية سياسية وكذلك يستقي مادته السياسية الشرعية - إن صح التعبير - من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . وقد أوصى "ع" محمد بن أبي بكر برسالة بعثها إليه عندما ولي مصر ب ((واخفض لهم جناحك ، وألن له جانبك ، وأبسط لهم وجهك ، وآس بينهم في اللحظة والنظرة ، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا يبأس الضعفاء من عدلك عليهم))<sup>(٣٢)</sup>

وكان "ع" قد نهى عن الاحتجاج عن الرعية وأمر ولاته بتفقد الرعية والسؤال عنهم وحذر من يأس الناس بالحاكم - إذا طال احتجابه عنهم - يقول : ((وأما بعد هذا ، فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك

...فما أسرع كَفَّ الناس عن مسأتك إذا أيسوا من بذلك!، مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة ، أو طلب إنصاف في معاملة))<sup>(٣٣)</sup>

وحذر ولاته أيضا من البطانة والخاصة المقربين من الوالي ، وأن لا يؤثرهم على الناس<sup>(٣٤)</sup> . وكان يريد منهم إبداء العذر للرعية - إن أحسوا جورا من الحاكم - يقول : ((وإن ظننت الرعية بك حيفا ، فأصحر لهم بعذرك ، وأعدل عنك عنك ظنونهم بإصحارك ، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقا برعيتك . وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق))<sup>(٣٥)</sup>

وكان (ع) يعتمد على القرآن بقوة ويطبّقه بشدة إذ يقول لعامله : ولا تدفعنّ صلحا دعاك إليه عدوك لله فيه رضى ، فإن في الصلح دعة جنودك ، وراحة من همومك ، وأمنا لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفّل ، فخذ بالحزم ، واتهم في ذلك حسن الظن<sup>(٣٦)</sup> وتراه يأخذ بالقرآن ونصّه الصريح بقوله تعالى: ((وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم))<sup>(٣٧)</sup>

وبعد هذه الآية مباشرة قال تعالى: ((وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين))<sup>(٣٨)</sup> فالآيتان معا تتصان على الجنوح إلى السلم . وإن غدر العدو فالله هو حسب النبي ؛ لذلك حذر الإمام واليه - بعد أن يدخل في السلم - من كيد الخصم وأن لا يكون مطمعا لغدر عدوه . فهو لا يجتهد بعيدا عن القرآن وعن سنة نبيه الذي عقد صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ويومها ظنّ المسلمون أنهم مغبونون في هذا الصلح ، ولكنّ الايام كشفت عبقرية الرسول الكريم "ص" واستشرافه المستقبل إذ ارتاح المؤمنون من القتال وأتيح لهم أن ينشروا الدين . ولما غدر المشركون الذين عقدوا الصلح معه (ص) نقض الرسول الكريم الصلح كله - بحسب الاتفاق بين الطرفين - . ومن الامور التي شدد عليها الامام النهي عن سفك الدماء بغير الحق مقتنيا الاوامر الالهية التي تنكر هذا العمل وهي من كبائر الذنوب ، قال تعالى : (( من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد

في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيها فكأنما أحيأ الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون ((<sup>(٣٩)</sup>)

وكان رسول الله (ص) لا يريد القتال ولا يحبّه وعندما نهب المشركون أموال المسلمين - بعد هجرتهم الى المدينة المنورة طالبه المسلمون بقتال المشركين واسترجاع حقوقهم ، فلم يرضَ (ص) إلا بعد نزول الوحي بالآية التي سمحت له بالقتال وعندها حدثت معركة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة : ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلا أن يقولوا ربّنا الله ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضهم ببعض لَهَدَمْتُ صوامعُ وبيعُ وصلواتُ ومساجدُ يُذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرنَّ الله من ينصره إنّ الله لقويٌّ عزيزٌ)) ((<sup>(٤٠)</sup>)

ولهذا جاء نهي الامام علي عن سفك الدماء ، ويردّ على الذين يقولون إنه (ع) تقاعس عن القتال حتّى أعطى لمن يعارضه الفرصة لانقضاض على المسلمين ، بل وصل الامر بهم أن يغدروا بالخلافة والتمكّن من قتله وهو يصلي في مسجد الكوفة . إذ هو يُدرك حرمة الدم ، ويعلم أنّ القصاص لا يكون إلا بعد ارتكاب الجناية . فما جاء ليحكم إنّما جاء ليقيم الحق والاصلاح في أمة النبي الكريم "ص" وكان هذا السبيل نهجه الذي يسير عليه ويأمر ولاته بالسير في طريقه ، يقول : ((ياك والدماء وسفكها بغير حلّها فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد ، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ؛ لأنّ فيه قوّد البدن وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة ، فإن في الوكزة " الضربة بجمع الكفّ " فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم )) ((<sup>(٤١)</sup>)

ومع ما عُرف عن الامام بأنّه رجل حرب وبطل ميادين إلا أنّه يوصي واليه بهذا الإيحاء فهل ((كان ذلك كاشفا عن عدم رعاية حقّ الإنسان في الحياة أم كان ناتجا عن عقيدة راسخة بشرعيّة الجهاد؟)) ((<sup>(٤٢)</sup>)

نعم إنه يصدر عن عقيدة راسخة وما قاتل إلا بالحقّ ورغبة منه لإظهار الحق والعدالة وجاءت معرفته بالقضاء وبالفتيا عموماً ؛ لأنه كان ((المستشار الرئيس للقضايا والمسائل كافة التي تطرأ زمن حكم الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه ، ولما أصبح الامام خليفة أصبح يمارس القضاء بنفسه فضلاً عن اختيار بعض الافراد الذين يرى فيهم المؤهلات الاساسية لتولي القضاء))<sup>(٤٣)</sup>

وأنت إذ ترى كم أنّ هذا الرجل الحكيم يضع الامور في موازينها الصحيحة . وهو ((يؤكد وجوب أنّ يكون العقل والعلم توأمين))<sup>(٤٤)</sup> فهو إذ يمنع السلطان من أن يأخذه سلطانه وغطرسته من الاستخفاف بدماء الناس وعدم دفع الدية لأهل المقتول . ويمنعه من وكز الشخص ، فقد تقتل هذه الوكرة الطرف المقابل ! مثل الذي حدث مع النبي موسى "ع" عندما استغاثه الرجل من شيعته على عدوّه : ((ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه فوكزه موسى ففضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوّ مضلّ مبين)) فبعد إحساس النبي بأن ما قام به من عمل الشيطان ؛ لذا تعهّد في أن لا يكون ظهيرا للمجرمين بعد أن استغفر ربه فغفر له : ((قال ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم . قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين))<sup>(٤٥)</sup>

فجاء تحذير الامام من هذا العمل ابتداء حتى لا يتورط الانسان بالأعمال الشيطانية . فكان يشدّد على مثل هذه الأعمال ويسدي النصائح للمسلمين ولولاته بالابتعاد عن أيّ عمل يودي إلى الهلاك وغضب الله تعالى ، بل ذهب الاسلام إلى أبعد من هذا حين عفا النبي الكريم "ص" عن المجرمين يوم دخل مكة فاتحاً ومهدّماً الاصنام ؛ لمعرفة "ص" بجرمة الدم وأنه ينبغي ألاّ تبني الدولة على الدماء ابتداء لأنّ ملكها سوف يزول ، وبذلك وضع دستوراً عظيماً للأمة ، وإذا عطّلته ولم تعمل به فإنّ ملكها سوف يزول لا محالة ، ومن يتصفّح تاريخ الدول سيجد ذلك واضحاً جلياً ، إذ زالت دول ضخمة كان من المتوقّع لها أن تستمر ؛ لأنّها تمتلك مقومات البقاء إلا أنّها اعتمدت ملكاً عضواً مبنياً على الدماء ، والظلم .

ومن ما مرّ يتبين للقارئ المتفحص لما قاله الامام علي ، وما كتبه لعمّاله أو ولاته أو الوصايا التي تركها للأمة أو لأبنائه ، وكان لا يترك شاردة ولا واردة إلا أعطاهها حقاً من العناية فكان لا يرضى بأن تختلط النساء بالرجال وحين بلغه أنّ نساء المسلمين يزاحمن العلوج في الاسواق وجّه بالمنع وشدّد على صون العرض<sup>(٤٦)</sup>

فإنّه كان (ع) يهدف إلى بناء الامّة بناء صحيحاً فيه سعادتها وفيه مرضات الله سبحانه وتعالى ، سواء أكان ذلك في عصره أم العصور اللاحقة ؛ لأنّه استشراف المستقبل من خلال مرافقته للرسول الكريم (ص). ومن خلال فهمه الحقيقي لما نزل من الذكر الحكيم ، فهو أعرف الناس بعد رسول الله "ص" بأسباب النزول ومقاصد الشريعة المقدّسة . والمدقق أيضاً في كلامه يجده أبعد الناس حديثاً عن نفسه إلا إذا قصد حتّى الأمة على القبول بنهجه وأنّه كان أرسخ الناس إيماناً وأقدمهم إسلاماً . ولم يسجل التاريخ عنه أنّه طلب الملك لأبنائه أو أبناء عمومته أو المقرّبين منه قرابة دم . وإنّ استشراف المستقبل حاضر بين عينيه دوماً إذ هو ينظر إلى الامّة نظرة مستقبلية كأنّه يدّخر علمه وفضله إلى الأجيال القادمة لتحظى بفرصة مماثلة كتلك الفرصة التي حظيت بها الاجيال التي عاصرتة . والحق إنّ الإنصاف والموضوعيّة تقضيان الإشادة بفضله كونه قائداً ملهماً أضحت سيرته ومنهجه منارة للعصور جميعاً ولأولئك الطامحين الذين ينشدون العدالة والحرية وتحزّي الدقة والموضوعية في الوظائف وفي التعيينات . إنّه لا يختار إلا من يراه كفواً للمسؤولية وقادراً على كبح جماح نفسه وشهوته ، إذ يقول : (( فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسولك ولإمامك ، وأطهرهم جيّاباً ، وأفضلهم حلماً ممّن يبطن عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الاقوياء ، وممّن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف ))<sup>(٤٧)</sup>

وأنت ترى أنّه لا يكتفي باختيار ولاته وعمّاله ، بل يذهب إلى الامصار ، ويوصي ولاته وعمّاله باختيار الصالحين والاكفاء . وتراه لا يكتفي بالإيحاء ، بل يلجأ إلى تعنيف عامله إذا عصى : (( أمّا بعد ، فقد

بلغني عنك أمرٌ ، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك ، وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك . بلغني أنك جرّدت الارض فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك))<sup>(٤٨)</sup>  
فكره القيادي

ينبغي التنويه على أنّ المصطلحات الجديدة من مثل " الفكر " و " القيادة " بمفهومها الحديث " و " السياسة " وغيرها ممّا ورد في هذا البحث ، أو سيرد لا تعني بالضرورة فهم المسلمين الأوائل - زمن الامام علي نفسه - لها بالمقصود بها تماماً ، بل هي تقترب منها أو تغايرها إذ انتقلت من مفهومها اللغوي العام لها أو المقارب له . فهو (ع) يرى أنّ قيادة الأمة تبعاً لهذا الامر يجب ألاّ تخالف الشريعة الاسلامية ، ويجب أن يتساوى الناس في الحقوق والواجبات ، ولا فرق بين أسود وبي أبيض ، ولا فرق بين إنسان بين إنسان آخر على أساس الدين أو العرق ، وما إلى ذلك من التمييز العنصري الذي شهدته الأمة في السابق ، والذي تشهده اليوم وتشهده أرقى الدول المدنية . وما ورد عن الامام علي في هذا الصدد قد يعني الادارة أو طريقة الادارة ، وهي ترتبط بالمجتمع وبالذي يدير المجتمع ، ولا أظنّ أنّ ما ذهب إليه باحث من أنّ الادارة تعني " الدائرة " فهذا الفهم غير دقيق ، فكل مفردة لها استعمالها الخاص . وقد ذهب الباحث الكريم إلى أنّ الادارة تنشأ بين جمع من الناس ، تربطهم روابط ، وكلما قويت هذه الروابط يسّرت على المدير إدارته وعمله . ومن دون مراعاة الروابط تلك تصبح الادارة أشبه ما تكون معادلة حسابية ؛ لذلك وجّهت انتقادات إلى المفكر الألماني " ماكس فيبر " عندما لم يهتم بالبيئة الاجتماعية التي تنشأ فيها الادارة ، فجاء نموذجه في " البيروقراطية " تنقصه الروابط الانسانية ، كذلك يؤخذ على ( تيلر ) اتجاؤه إلى مكننة الانسان في المعمل<sup>(٤٩)</sup>

ثم ذكر هذا الباحث مفهوم الادارة عند أمير المؤمنين بشكل عام ، قد لاينطبق تماماً والمفهوم الحديث السائد<sup>(٥٠)</sup> لكنه وضع يده على جملة من كلام الامام علي يمكن أن تدخل في موضوعنا وفي موضوع الادارة ، وهو حسن التدبير ، ومعناه : التفكير في دُبر الامور<sup>(٥١)</sup> أي النظر إلى عواقب الأمور من سلبية وإيجابية . وهو بهذا المعنى ركيزة أساسية من ركائز الإدارة ؛ لأنّ الإدارة كمفهوم واسع هو التخطيط

- لعمل ما ، وهو التحسب من نتائجه قبل البدء به . ومن صفات المدير أن يضع الامور في أماكنها .  
 وضرب أمثلة من كلام أمير المؤمنين في هذا الصدد :
- حسن التدبير ينمي قليل المال ، وسوء التدبير يُعني كثيرة (٥٢)
  - لا فقر مع حسن التدبير (٥٣)
  - حسن التدبير وتجنب التبذير من حسن السياسة (٥٤)
  - قوام العيش حسن التقدير وملاكه حسن التدبير (٥٥)
  - ليس للجوج تدبير (٥٦)
  - سبب التدمير سوء التدبير (٥٧)

وأنت إذ ترى أنّ من هذه النصوص منها ما يدخل في شؤون العائلة ، ومنها ما يدخل في نظام الادارة ، ومنها ما يدخل في شؤون السياسة . قالها الامام في مواقف متفرقة ، وهي بمجملها تمثل ردّاً على من يقول إنّ العرب لم يعرفوا الادارة - بحكم بيئتهم - والصحراء التي تكتنف هذه البيئه .

وكان الإمام يركّز على حسن التدبير ؛ لأنّه يعلم أنّ الأمور بها حاجة إلى تخطيط ودراية ، ولا يكون الانفعال طريقاً لإدارة شؤون الناس والمجتمع والعائلة ؛ لذلك قال (ع): ((حسن التدبير هو أدلّ شيء على غزارة العقل)) (٥٨). والنّاظر في تاريخ الأمم يجد أنّ من أفضل رجالها حكمة ونسائها ، هم الذين يدبّرون الأمور ويشاورون الناس المحيطين بهم ؛ قال تعالى في شأن ملكة سبأ يخلّدها في مشورتها لملئها - بعد أنّ وردها كتاب النبي سليمان " ع " : ((قالت يا أيها المملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون)) (٥٩)

فهي تُشهد ملاًها قبل أن تقطع في أمر ملكها ، وهذه غاية في التدبير والتأني والبعد عن الانفعال . إذا ما أبعدنا سوء الظنّ في أنّ لم تكن على الدراية والحكمة المطلوبتين للملك . كونها امرأة وقد تكون خائفة من تهديد النبي سليمان ، وهي - في حالة الخوف هذه - قد تحتاج لجمع الرأي والكلمة ، هذا لا يعوّل عليه بدليل أنّه لم تقطع أمراً إلاّ بعد أن تُشهد ملاًها . والذي يؤخذ من كلامه " ع " أنّه لا يكف عن إسداء

النصيحة للمسلمين ، من أهله وأقاربه ومن بقية المسلمين ، ومما يستوجب الوقوف عنده أنه " ع " كان يطبق ما يقوله أمام المسلمين تطبيقاً واضحاً جعله يختلف عن الحكام المسلمين وغير المسلمين ، إذ لا نعدم من هو عادل يخاف الله ، أو من كان عادلاً بالفطرة ويسير على مبادئ يحترمها مثل ملكة سبأ التي كانت تعبد آلهة غير الله . وليس شيء يدل على تطبيقه ما يقول أكثر من توجيه أبنائه بعدم الخوض في دماء المسلمين بعد أن ضربه الخارجي ابن ملجم فقد أوصى أن لا يقتل ابن ملجم قبل ثبوت الجريمة التي تتحقق بوفاة "ع": ((يابني عبد المطلب لا ألفتكم تخوضون في دماء المسلمين خوفاً تقولون : قُتل أمير المؤمنين . ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي ...انظروا إذا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل بالرجل ... فإني سمعت رسول الله " ص " يقول : إياكم بالمثلثة ولو بالكلب العقور<sup>(٦٠)</sup>

. بعد أن قال لهم : إن أبقى حياً فأنا وليّ دمي))<sup>(٦١)</sup>

وكان متواصلًا بفكرة أن لا يبدأ المسلم بقتال ، لكنّه - إن دُعِيَ إلى مبارزة أجاب - يقول وهو يوصي ابنه الحسن "ع" : (( لا تدعون إلى مبارزة . وإن دعيت لها فأجب ، فإنّ الداعي باغٍ والباغي مصروع ))<sup>(٦٢)</sup> وتراه يوصي ابنه الحسن "ع" بالفقراء بقوله : ((واعلم أنّه لا غنى بك عن حسن الارتياح ، معبلاغك من الزاد ، فإن أصبت من أهل الفاقة من يحمل عنك زادك فيوافيك به في معادك فاغتمه ، فإنّ أمامك عقبة كؤودا لا يجاوزها إلا أخفّ الناس حملاً ، فأجمل في الطلب ، وأحسن المكتسب ، فربّ طلب جرّ إلى حرب ))<sup>(٦٣)</sup>

وكان (ع) يضع الحكم أمام عينيه قبل أن ينفذ من مثل قوله : أولى الناس بالعمو أقدّهم على العقوبة .. العفو زكاة الظفر ، وإذا سمحت له القوانين المعروفة بالحرب فهو يراعي كل جوانب الاخاء البشري من حنان ورقة ثمّ تجده يحزن حين ينتصر<sup>(٦٤)</sup>

والذي يتحصّل من كلامه "ع" أنّه شديد الحرص والتحرّج على تطبيق الشريعة الغراء والأخذ بسنة النبي "ص" والتزامه الدقيق بأحاديث المصطفى المختار "ص" فيما يخصّ دمه هو ، فهل نتفاجأ إذا أفيناه يحرص على دماء المسلمين ويلتزم بتطبيقه ، إنّه لا يريد أكثر من إحقاق الحقّ والالتزام بالعقوبة على قدر

الجنائية ، فهذه من خصال الجاهلية التي محاها القرآن الكريم وطبقها رسول الله "ص" مع أن قاتله إنما اغتال الخلافة ولم يقتل رجلاً عادياً فهو رأس الدولة وحاكمها الشرعي المبايع بيعة واضحة من المسلمين .ومن كلامه أيضاً ((إشارة إلى ضرورة التحقق من سبب الوفاة قبل إنزال العقوبة حيث يقول: ((إذا متّ من ضربته)) لأنّ الوفاة قد تحصل بسبب عامل آخر (كموت الفجاءة) وعندئذ يتغيّر نوع العقوبة ! ألا يذكرنا ذلك بكلّ ما يعتمده القضاء في ظلّ الانظمة "الديمقراطية" الحديثة في أيامنا هذه من أجل تقرير العقاب العادل ؟! (٦٥)

والذي يؤخذ من هذا أنّ الامام علي أراد أن يطبق نظام الاسلام بشريعته الواضحة وأراد أن يلتزم بما سار فيه النبي "ص" في المسلمين من سيرة حسنة وأراد أن يعطي الانموذج الافضل لأهل البيت والتزامهم أمام المسلمين بأية التطهير ؛ كونه على رأس الأمة المعصومين ، أراد أيضاً أن يعطي للأجيال دروساً وعبر تضيء طريقهم وتمهّد لهم الطريق أمام القدوة الحسنة لرسول الله "ص" ولأهل بيته الكرام الصالحين . وأراد أيضاً أن يعطي دروساً للحكام المسلمين الذين يأتون من بعده في الالتزام بشريعة الله سبحانه وتعالى ، فالدين كمل ونعمة الاسلام استقرت في أذهان المسلمين ، وعرفوا الحق من الباطل ، وما عليهم إلا التطبيق ، فلا يحتاجون إلى دساتير جديدة ولا يحتاجون النظر في دساتير الامم الاخرى ، فدينهم مرضي ونهج رسول الله باقٍ ، ولا حجة لأحد بالزيغ عنه واتباع طريق الهوى أو المزاج .قال تعالى : (( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً )) (٦٦)

وأراد "ع" أيضاً أن يعطي دروساً للبشرية - بمختلف شرائعها واتجاهاتها - في الاخلاق وفي إدارة شؤون مجتمعاتها، ولو سأل سائل أتى يتحقّق ذلك والمسلمون اليوم مغلوبون على أمرهم ؟ نعم إنّ المسلمين مأمورون بنشر الدعوة الاسلامية للمعمورة جمعاء ولا عذر لهم في التقاعس وعلى الدعوة منهم - بوجه خاص - أن ينبروا لهذا العمل الجليل بالقدوة الصالحة - مثلما كان رسول الله "ص" يفعل ومثلما كان الامام علي يفعل ومثلما كان الصالحون من المسلمين يفعلون ذلك . فهو حين يوصي ولاته وعمله بأخذ الحيطة مع الرعية وإتّهم يجب ألا يأخذوا الاموال وأن يمنعوا بطانتهم وذرائعهم من التحصل غير المشروع

كان يطبّق الامر على نفسه ف (( ذا ورد عله مال لم يبق منه شيئاً إلا قسمه ولم يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك ويقول : يا دنيا غري غيري ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء ولا يخصّ به حميماً ولا قريباً ولا يخصّ بالولايات إلا أهل الديانات والامانات))<sup>(٦٧)</sup> وكان "ع" يرجع الحق إلى أصحابه والضياع إلى بيت المال إذ يرى أنّ المسلمين أولى بها . إذ حلّ الولاء للإسلام محلّ رابطة الدم والنسب ((فالتعصّب يجب أن يكون لما فيه صلاح الأمة وعدم تهميش الآخر وهذه الانطلاقة تنبثق عندما يتمّ تجاوز أطر التفاوت الطبقي وتطبيق ما وصّى به الدين الالهي))<sup>(٦٨)</sup> ونجد من النصوص الكثيرة للإمام علي ما يعصّد هذا<sup>(٦٩)</sup> فهو لا يرضى إلا بالقيم التي جاء بها الاسلام الحنيف وطبقها الرسول الكريم "ص" .

#### الخاتمة:

يمكن إجمال النتائج التي توصل إليها البحث بالآتي :

- إنّ الامام علي "ع" ينظر إلى السياسة على أنّها إعطاء كلّ ذي حقّ حقه ، ولا ينظر إليها على أنّها فنّ الممكن .
- إنّ الامام كان يطبّق سنّة الرسول الكريم "ص" في مفاصل حياته حتّى لحظة استشهاده ، وكان ينطلق من هذه القدوة الحسنة حتّى مع أهله والمقرّبين منه .
- كان (ع) يتابع عمّاله ، ويضع المراقبين عليهم ، ولم يكتف بتعيينهم بعد الثقة الاوليّة بهم .
- وكان يحرص على تزويدهم بالكتب التي يدبّجها لهم ؛ من أجل تجديد العهد بهم ؛ ومن أجل وضعهم بالصورة المثلى لما يراه خدمة لمصلحة المسلمين .
- إنّ "ع" كان يتابع أمور المسلمين ولا يفرّق بينهم ، بل يعامل أبناءه وأقاربه معاملة الرعايا من مختلف المذاهب والاديان .
- كان "ع" شديد الحرص على تطبيق الشريعة المحمديّة تطبيقاً عادلاً ، لا يقوم على الظنّ أو الحدس .

- إن النظرات التي أودعها في ولاته وإبصائه المسلمين عموماً تصلح أن تكون منهج عمل لهم مبني على منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
- إن ما قاله في إدارته لشؤون الدولة وشؤون ولاته أو عمال الدولة ، دليل عمل للأجيال اللاحقة لجيله (ع).
- إن تطبيقه للدين المحمدي الحنيف ، يصلح ورقة عمل محكمة الصنعة ليومنا هذا من الممكن إفادة الحكام المسلمين والحكام من مختلف الأديان لكونها لا تتعارض مع الفطرة السليمة .
- إن نظراته الثاقبة في الامور كلها ولاسيما في إثبات الجرم بالدليل القطعي ، والتأكد من الوفاة بسبب فعل الجاني ، من الرقي المقرون بالذكاء الحاد ، الذي تسير عليه البشرية اليوم أرقى الدول المتمدنة لإعطاء الحكم الذي يتناسب وحجم الجريمة أو الضرر .
- لا يؤخذ بذنب البريء والاقتصار على الجاني فقط وبه يُقام القصاص .
- كان (ع) يدعو إلى التريث في الامور والاحذ بحسن التدبير ، وينهى عن اللجوجة والتسرع في كل شيء .
- كان يأمر المسلمين بعدم التبذير ، ويحذر من الاسراف ، ويطالب بوضع الامور في مكانها الصحيح ، ولا سيما فيمن يدير شؤون الناس أو العائلة .
- كان شديداً على ولاته بعدم التصرف بمال المسلمين والتحرّج الشديد في هذا الامر .
- كان "ع" يحذر ولاته من البطانة والمقرّبين على حساب الرعية .
- كان يأمر ولاته بالرفق بالرعية وينهاهم عن الغلظة والاحتجاب عن الناس . والنظر دائماً بمصالحهم وشؤونهم .
- وكان "ع" يقبل بالمعارضة مادامت لا تهتضم حقوق المسلمين ، وكان لا يأخذ حقّ المعارضين ولا يمنعهم من المساجد أو الفياء .

## الهوامش:

- (١) الفخري في الآداب السلطانية : ٢٠ .
- (٢) مفهوم السياسة في القرآن والسنة . على الموقع الالكتروني : [www.islamweb.net](http://www.islamweb.net)
- (٣) النساء : ٥٤ .
- (٤) ظ : يوسف : ١٠١ ،، والبقرة : ٢٤٧ ،، والبقرة : ٢٥١ . وغيرها من المواضع ، وكلها تدل على أمر الملك ، وما يشوبه من سياسة في الناس .
- (٥) القصص : ٤ .
- (٦) ظ في هذا : مفهوم السياسة في القرآن والسنة . على الموقع الالكتروني : [www.islamweb.net](http://www.islamweb.net)
- (٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري : رقم الحديث : ٣٢٦٨ .
- (٨) ظ : مفهوم السياسة في القرآن والسنة . على الموقع الالكتروني : [www.islamweb.net](http://www.islamweb.net)
- (٩) ظ : م . ن .
- (١٠) الامام علي خليفة رسول الله "ص" . محمد القزويني : ٣٣ .
- (١١) آل عمران : بعض الآية : ١٥٩ .
- (١٢) التفسير الكبير للرازي في تفسير الآية .
- (١٣) الامام علي خليفة رسول الله : ٣٢ .
- (١٤) الامام علي بن أبي طالب (ع) ، عبد الفتاح عبد المقصود : المجلد الرابع ، الجزء السابع ص ١١٣ .
- (١٥) نهج البلاغة : ٣٩٤ . و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٤ / ٢٠ . وظ : رسائل الامام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية . د . رائد مجيد جبار : ١٢١ . وشرح حجاجياً ما جاء في هذا الكتاب .
- (١٦) آل عمران : ٢٦ .
- (١٧) نهج البلاغة : ١١٣ .
- (١٨) الامن الفكري في نهج البلاغة . السيد نبيل الحسني : ١٨٨ .
- (١٩) نهج البلاغة ١ / ١١٥ . وظ : الامام علي بن أبي طالب وحقوق الانسان . د.حسن الزين : ١٦ .
- (٢٠) الامام علي بن أبي طالب وحقوق الانسان . د. حسن الزين : ١٧ .
- (٢١) نهج البلاغة : ٤٤٨ .

- (٢٢) الامام علي بن أبي طالب وحقوق الانسان . د. حسن الزين : ١٧ . وفيه : مسلم بدل : مصل .  
(٢٣) التوبة : ٦ .  
(٢٤) الغرر : ٤ / ٤٥ .  
(٢٥) م . ن : ٤ / ٤٢٣ .  
(٢٦) م . ن : ٦ / ١١٦ .  
(٢٧) م . ن : ٥ / ٢٩٤ .  
(٢٨) م . ن : ١ / ١٩٧ .  
(٢٩) م . ن : ٥ / ٢٠٩ .  
(٣٠) الادارة و النظام الاداري عند الامام علي "ع" . د . محسن باقر الموسوي : ٢٦ - ٢٧ .  
(٣١) نهج البلاغة: الكتاب : ٤٤٩ - ٤٤٦٠ . وظ : نهاية الارب : ٦ / ١٩ و أعيان الشيعة : ١ / ٥٤٥ - ٥٤٩ .  
وظ : الامام علي "ع" الشخصية الاسلامية الخالدة عبد السلام كاظم الجعفري : ٨٧ .  
(٣٢) نهج البلاغة : ٤٠٩ . وظ : المنطلقات الانسانية والاخلاقية في رسالة الامام علي "ع" إلى مالك الاشر "ر" . د.  
خميس غربي حسين : ٢٤ .  
(٣٣) نهج البلاغة : ٤٦١ .  
(٣٤) م . ن : ٤٦١ .  
(٣٥) م . ن : ٤٦٢ .  
(٣٦) م . ن . وظ : الامام علي أمير المؤمنين الشخصية الاسلامية الخالدة : ٢٩٠ .  
(٣٧) الانفال : ٦١ .  
(٣٨) الانفال : ٦٢ .  
(٣٩) المائدة / ٣٢ .  
(٤٠) الحج / ٣٩ .  
(٤١) نهج البلاغة : ٤٦٣ ، وظ : الامام علي أمير المؤمنين الشخصية الاسلامية الخالدة : ٢٩٢ . وفي الكتاب الاخير  
أسماء الشروح التي تصدّت لعهد الامام علي لمالك الاشر ، لأهميته ، ظ : ٢٩٥ .

- (٤٢) حقوق الإنسان جدل النظرية وإشكالية الممارسة حقوق الإنسان عند الامام علي "ع" نموذجا : د . محمد علي محمد رضا الحكيم : ٧١ .
- (٤٣) القضاء في الاسلام . د. عطية مصطفى مشرفة : ١٠٥ - ١٠٦ . وظ : التنظيم الاجتماعي في فكر الامام علي (ع) دراسة تحليلية في ضوء نهج البلاغة : د . نضال عيسى النعيمي : ١٨٩ - ١٩٠ .
- (٤٤) الارشاد في فكر الامام علي "ع" دراسة تحليلية لنهج البلاغة . د . نهاية جبر المحمداوي : ٦٤ .
- (٤٥) القصص / ١٥ - ١٧ .
- (٤٦) ظ : حقوق الانسان عند الامام علي بن أبي طالب . د . غسان السعد : ٢٥٠ - ٢٥١ . ونقل عن روايات كثيرة في هذا الصدد .
- (٤٧) نهج البلاغة : ٤٥٤ .
- (٤٨) نهج البلاغة : ٤٣٤ - ٤٣٥ .
- (٤٩) الادارة والنظام الاداري عند الامام علي (ع) : ٢٦ و ٥٤ - ٥٥ .
- (٥٠) م . ن : ٢١ ، ٦١ . وفي هذه الصفحات تكلم بأمر بعيدة عن الادارة .
- (٥١) المفردات للراغب الاصفهاني : ١٦٥ .
- (٥٢) الغرر : ٣ / ٣٨٧ .
- (٥٣) م . ن : ٦ / ٤٣٧ .
- (٥٤) م . ن : ٣ / ٣٨٥ .
- (٥٥) م . ن : ٤ / ٥١٥ .
- (٥٦) م . ن : ٥ / ٧٩ .
- (٥٧) م . ن : ٤ / ١٢٦ .
- (٥٨) م . ن : ٢ / ٤٢٩ .
- (٥٩) النمل : ٣٢ .
- (٦٠) نهج البلاغة : ٥١٢ .
- (٦١) م . ن : ٤٥٩ .
- (٦٢) نهج البلاغة : وظ : علي كما وصف نفسه . السيد طاهر عيسى درويش : ٢٩٤ .

- (٦٣) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة . الشيخ محمد باقر المحمودي : ٥ / ٥ .
- (٦٤) ظ : الامام علي "ع" صوت العدالة الانسانية . جورج جرداق : ١٥١ . وظ : موسوعة الامام علي "ع" . محمد جواد مغنية : ٢٤٨ .
- (٦٥) الإمام علي بن أبي طالب وحقوق الانسان : ١٤ .
- (٦٦) المائدة ، بعض من الآية : ٣ .
- (٦٧) الامام علي "ع" والقيم الانسانية . كوثر شاهين : ٢٨٦ . وأشارت إلى الآيات التي يتلوها إذا رأى خيانة من أحد عماله أو ولاته
- (٦٨) الحاكمية في فكر الامام علي "ع" دراسة في ضوء الانساق الثقافية . عبد الامير دلي عباس : ٥٨ - ٥٩ .
- (٦٩) ظ : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٧ / ١٠٩ - ١١٠ . وغير هذا الموضوع مواضع كثيرة .

#### المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .
- الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي "ع" . د . محسن باقر الموسوي . مركز الغدير للدراسات الاسلامية . بيروت - لبنان . ط ١٩٩٨ م .
- الإرشاد في فكر الإمام علي "ع" دراسة تحليلية لنهج البلاغة . د . نهاية جبر المحمداوي . مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء . ط ٢٠١٧ م
- أعيان الشيعة . محسن الأمين العاملي . تحقيق وتخريج . حسن الأمين . دار التعارف . بيروت - لبنان . ١٩٨٣ م .
- الإمام علي بن أبي طالب . عبد الفتاح عبد المقصود . الناشر . العتبة العلوية المقدسة . دار الصفوة . بيروت . ط ٢٠١٢ م .
- الإمام علي بن أبي طالب "ع" وحقوق الانسان . د . حسن الزين . دار الفكر الحديث للطباعة والنشر . بيروت - لبنان . ط ٢٠١٣ م .
- الإمام علي "ع" أمير المؤمنين الشخصية الاسلامية الخالدة . عبد السلام كاظم الجعفري . دار الغدير . قم المقدسة . ط ١٤٣٤ هـ .
- الإمام علي "ع" خليفة رسول الله "ص" . محمد إبراهيم الموحد القزويني . دار الثقلين . بيروت ( د . ت ) .
- الإمام علي "ع" صوت العدالة الانسانية . جورج جرداق . اختصره وحققه . حميد السنيد . مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت "ع" ط ١٤٢٤ هـ .

- الإمام علي "ع" في رؤية ( النهج ) و ( رواية ) التاريخ . د. ابراهيم بيضون . العتبة العلوية المقدسة . ط ١ ٢٠١٢ م .  
الإمام علي "ع" والقيم الانسانية . كوثر شاهين . دار التعارف للمطبوعات . بيروت - لبنان . ٢٠٠٤ م .
- الأمن الفكري في نهج البلاغة . السيد نبيل الحسني . إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة .  
كربلاء . ط ١ ٢٠١٥ م .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . الفخر الرازي . دار الكتب العلمية . بيروت . ٢٠٠٤ م .
- التنظيم الإجتماعي في فكر الإمام علي "ع" دراسة تحليلية في ضوء نهج البلاغة . د . نضال عيسى النعيمي . إصدار  
مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء . ط ١ ٢٠١٧ م .
- الحاكمية في فكر الإمام علي "ع" دراسة في ضوء الانساق الثقافية . عبد الامير دلي مجباس . . إصدار مؤسسة علوم  
نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء . ط ١ ٢٠١٦ م .
- حقوق الانسان عند الإمام علي بن أبي طالب "ع" . د . غسان السعد . بغداد . ط ٢ ٢٠٠٨ م .
- رسائل الإمام علي "ع" في نهج البلاغة - دراسة جمالية . د . رائد مجيد جبار . . إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة .  
العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء . ٢٠١٧ م .
- علي "ع" كما وصف نفسه . السيد طاهر عيسى درويش . دار ومكتبة الهلال - دار البحار . بيروت . ط ١ ٢٠٠٤ م .
- الغرر وأثره في العقود في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة . محمد الامين الضرير . دار الجيل . بيروت - لبنان . ١٩٩٠ م .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري . ابن حجر العسقلاني . دار الريان للتراث . ١٩٨٦ م .
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية . ابن الطقطقا . تحقيق عبد القادر محمد مايو . دار القلم العربي .  
بيروت . ط ١ ١٩٩٧ م .
- حقوق الإنسان جدل النظرية وإشكالية الممارسة حقوق الإنسان عند الامام علي "ع" انموذجا : د . محمد علي محمد رضا  
الحكيم . . إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء . ط ١ ٢٠١٧ م .
- المكتبة الالكترونية . الموقع : [www.islamweb.net](http://www.islamweb.net)
- المفردات في غريب القرآن . الراغب الاصفهاني . تحقيق صفوان عدنان الداودي . دار القلم . دمشق - بيروت . ط ١  
١٤١٢ هـ .
- المنطلقات الانسانية والاخلاقية في رسالة الامام علي "ع" إلى مالك الاشتر "رض" . أ.م.د. خميس غربي حسين . إصدار  
مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية المقدسة . كربلاء . ط ١ ٢٠١٧ م .

- موسوعة الإمام علي "ع". محمد جواد مغنية . دار الجواد - دار التيار الجديد . بيروت - لبنان . ط ١٤١٤ هـ .
- نهاية الأرب في فنون الأدب . شهاب الدين النويري . تحقيق مفيد قميحة وآخرين . دار الكتب العلمية . ط ٢٠٠٤ م .
- نهج البلاغة . المختار من كلام أمير المؤمنين "ع" لجامعه الشريف الرضي . تحقيق السيد هاشم الميلاني . العتبة العلوية المقدسة . مكتبة الروضة الحيدرية . ٢٠١٠ م .
- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة . الشيخ محمد باقر المحمودي . دار التعارف للمطبوعات . بيروت - لبنان . ط ١٩٧٧ م .